أضواء على الآثار الفرعونية المنقولة إلى العمائر الإسلامية بمدينةالقاهرة دراسة من خلال لوحات المستشرق "لويجي ماير Luigi Mayer"

أ. رضوى زكي•

ملخص

تعد لوحات المستشرق لويجي ماير (١٧٥٥-١٨٠٣م) أحد أهم وأول الأعمال الفنية التي رصدت ملامح بعض آثار ومنشآت القاهرة والإسكندرية والنيل والدلتا إبان فترة الحملة الفرنسية من ١٧٩٩-١٨٠١م، وبمثابة ذاكرة تصويرية لبعض المواقع الأثرية التي اختفت تمامًا لاحقًا، فبقيت لنا تلك اللوحات المائية النادرة شاهدة على بقايا منشآت عظيمة. وقد كانت بعض الآثار الفرعونية المنقولة والتي كانت ملحقة ببعض الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة حتى عام ١٨٠٠م من أهم التفاصيل التي لم يغفل عنها ماير في لوحاته. وفي ضوء تلك الرسوم أمكن التعرف على هذه الآثار الفرعونية المنقولة، ومواضعها بالمنشآت الإسلامية، مما يمكننا من إلقاء الضوء على أسباب توظيف بعض الآثار الفرعونية في المنشآت الإسلامية بوجه عام.

أولاً : المستشرق لويجي ماير ولوحاته عن مصر

بدخول الحملة الفرنسية لمصر (١٧٩٨-١٨٠١م) بدأ عهد جديد من الاهتمام بآثار مصر؛ سواء الفرعونية أو الإسلامية، وقد وفد بعض الرسامين والمستشرقين لمصر قبل وبعد الحملة الفرنسية، ورصدوا من خلال لوحاتهم ما شاهدوه من آثار ومنشآت ومشاهد اختلطت فيها ملامح الحياة اليومية بالآثار والتراث الشعبي للمصريين، وعبروا من خلال رسومهم عن واقع مصر بلوحات لازالت تنبض بالحياة، وخّلفوا لنا سجلات مرئية على جانب كبير من الأهمية ألقت الضوء -مع ما جاء بالموسوعة الهائلة المسماة بـ"وصف مصر"- على بعض الجوانب التاريخية والأثرية المجهولة خلال تلك الفترة من تاريخ مصر.

ومن أوائل المستشرقين الذين وفدوا إلى مصر الرسام "لويجي ماير Luigi Mayer" (١٧٥٥-١٨٠٣م) والذي جاء إلى مصر في فترة غير معلومة قبل عام ١٨٠٠م خلال وقت الحملة الفرنسية، ولا توجد الكثير من المعلومات بخصوص الفترة التي زار فيها ماير مصر بالتحديد أو تفاصيل رحلته، وجل معلوماتنا عن ماير أنه إيطالي الأصل، ألماني المولد، قضي حياته كرسام متخصص في رسم اللوحات المائية التي صورت الآثار والعمارة في روما. قد كانت موهبة ماير سببًا في تعيينه الرسام الرسمي لدى سير "روبرت أينسلي Robert Ainslie" -السفير البريطاني لدى الباب العالي بالقسطنطينية- في مهمة لرسم لوحات عن العمارة والآثار في الشرق الأوسط وآسيا الصغرى. وقد أثمرت هذه المهمة عن صدور ثلاث مجلدات تباعًا تحوى

•باحث – مركز دراسات الكتابات والخطوط – مكتبة الإسكندرية،طالبة دكتوراه في الآثار الإسلامية – جامعة الإسكندرية.

لوحات مائية بريشة ماير، رصدت أهم المنشآت والآثار وملامح الحياة اليومية في مصر، وفلسطين، والإمبراطورية العثمانية، نشرت في لندن خلال الفترة من ١٨٠١-١٨٠٤م[١].

وقد حوت أول هذه المجلدات المذكورة ثمانية وأربعون لوحة مرسومة بألوان مائية بالقطع الكبير folio-sizedتسجل صورًا عن آثار مدينة القاهرة، والإسكندرية، ورشيد، وكذلك فوة... وصورًا من الحياة اليومية في مصر، مع تعليق تاريخي مصاحب عن مصر، وبعض عادات وتقاليد المصريون آنذاك، وقد نُشرت تلك اللوحات في كتاب بعنوان Views in Egypt[٢] صدر في عام ١٨٠١م في لندن.

وتكمن أهمية هذه اللوحات كأحد أهم الأعمال الفنية التي رصدت ملامح بعض آثار ومنشآت القاهرة والإسكندرية ووادي النيل والدلتا أثناء الحملة الفرنسية على مصر خلال الفترة من ١٧٩٨-١٨٠٠م، وتعد ذاكرة تصويرية لبعض المواقع الأثرية التي اختفت تمامًا لاحقًا، فبقيت لنا تلك اللوحات النادرة شاهدة على بقايا منشآت عظيمة رسُمت بدقة بالغة كأنما التقطتها عدسة مصور محترف،فضلاً عن أن كتاب ماير الموسوم بعنوان Views in Egyptمن أوائل المطبوعات المصورة الصادرة قبل السفر الهام موسوعة "وصف مصر"، والتي صدر أول أجزائها في عام١٨٠٩م.

وقد أعيد طبع كتاب ماير بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر بعد نفاذ طبعته الأولى خلال العام الأول ١٨٠١-١٨٠٢م نظرًا لاهتمام فرنسا وبريطانيا المتزايد حينذاك بآثار مصر وكل ما تم تدوينه عنها، ومن ضمنها لوحات ماير.[٣]

---

[1]Anda-Lucia Spânu, *Luigi Mayer and His 18th Century Views*, Brukenthal.ActaMusei, VII.2, 2012, p.321-322.

[٢]صدر أول مؤلف لماير بعنوان:

Luigi Mayer, *Views in Egypt: from the Original Drawings in the Possession of Sir Robert Ainslie, Taken During his embassy to Constantinople*; Engraved by and under the Direction of Thomas Milton; with HistoricalObservations,
and Incidental Illustrations of the Manners and Customs of the Natives of that Country, London: Thomas Bensley for R. Bowyer, 1801.

وقد أعيد إصدار هذا الكتاب عام ١٨٠٢م، ثم صدر مرة أخرى في عام ١٨٠٤ في مجلد واحد يضم ٩٦ لوحة بعنوان:

Luigi Mayer, *Views in Egypt, Palestine and other parts of the Ottoman Empire*, London:Thomas Bensley, 1804.

وقد أعيد طبع الكتاب كاملاً في مصر بعنوان:

Luigi Mayer, *Egypt in 1800*,Cairo, Zeitouna Press, 1999.

[3]Fiona Barnard, *"Luigi Mayer, Views in Egypt, 1801"*, University of Reading, Oxford, 2007, p.2-3.

ثانيًا: الآثار الفرعونية المنقولة إلى العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة في لوحات "ماير"

وقد حوت لوحات ماير تفاصيل هامة في ضوء ما رصده من مشاهدته عن أبرز معالم مدن مصر من عمائر ومناظر طبيعية لم يخلو معها تصوير الحياة اليومية للمصريين، وقد أولى ماير اهتمامًا خاصًا بتصوير الآثار الإسلامية التي رصدها ورسمها بريشته بصورة بانورامية لم يخلو معها الإشارة لكافة تفاصيلها؛ فنجد من جملة ما رسمه ماير ثلاث لوحات على قدر كبير من الأهمية؛ إذ تصور تلك اللوحات المذكورة بعض المنشآت الإسلامية منقول إليها آثار فرعونية منقوشة بالخط الهيروغليفي.[٤]

وقد كانت النقوش الهيروغليفية المدونة على تلك الآثار الفرعونية المنقولة، التي كانت ملحقة أو مدمجة ببعض الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة حتى عام ١٨٠٠م من أهم التفاصيل التي لم يغفل عنها ماير في لوحاته، وظلت تلك اللوحات–بجانب ما دونه ووصفه ورسمه لاحقًا الأعضاء المصاحبون لحملة الفرنسية في موسوعة وصف مصر- الشاهد المصور على إعادة استخدام بعض الآثار الفرعونية المنقولة ببعض العمائر الدينية بمدينة القاهرة؛ فقد انتُزعت تلك الآثار من مواضعها بالعمائر الإسلامية لاحقًا، وظلت لوحات المستشرق ماير معلوحات موسوعة وصف مصر هما الدليل والبرهان على وجودهما يومًا كجزء من آثار القاهرة الإسلامية.

وقد عنى ماير بتسجيل موضع "تابوت فرعوني" يقع بالقرب من أحد المساجد بقلعة الكبش في لوحتان مختلفتان (لوحة ١-٢)، ولوحة ثالثة سجلت استخدام "مسلة فرعونية" (لوحة ٥) كعتب لمدخل أحد جوامع قلعة الجبل من إجمالي اللوحات الثمانية والأربعون التي صورت وجه الحياة والعمائر في مصر إبان فترة الحملة الفرنسية. وخلال تلك الدراسة سنلقى الضوء على تلك الآثار الفرعونية المنقولة والمستخدمة بعمائر مدينة القاهرة من خلال لوحات ماير، وكذلك مواضعهم وأسباب استعمالهم بتلك المنشآت إسلامية. ونستهل الحديث عن التابوت الفرعوني بالقرب من أحد مساجد قلعة الكبش وهو مسجد وخانقاه[٥] الجاولى.

---

[4] Luigi Mayer, *Egypt in 1800*, pls. 9, 28-29.

[٥] خانقاه والجمع الخوانق أو الخوانك - كلمة فارسية معناها بيت جعل لتخلو الصوفية فيه للعبادة- وأصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. وهو بناء مستقل ملحق به مطبخ وحمام وأماكن للإعاشة، تكون إما حول صحن أو في مبنى منفصل، مثل ما هو موجود في خانقاه فرج بن برقوق. وأول خانقاه بنيت في القاهرة هي خانقاه سعيد السعداء التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م في موضع الركن الشمالي للقصر الفاطمي الكبير والتي كانت دار سعيد السعداء، ويمكن تحديد موضعها اليوم في شارع الجمالية أمام المدرسة القراسنقرية. ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل المصري (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢-١٢٩٣م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦، ص ٤٩-٥٠؛ المقريزي، تقي الدين أحمد محمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١-١٤٤٢م)، كتاب

- التابوت الفرعوني الواقع أسفل مسجد وخانقاه سنجر الجاولي[٦]

كان يوجد تابوت فرعوني مزخرف بالنقوش الهيروغليفية واقعًا بكوة أسفل مسجد وخانقاه الجاولي وفقًا للوحتان رسمهما ماير خلال الفترة من ١٧٩٨- ١٨٠٠م[٧]، ولم يذكر ماير صراحة أنه مسجد الجاولى؛ بيد أنه أشار إلى تابوت مصنوع من البازلت يقع أسفل أحد مساجد القاهرة، وأطلق عليه مسمى "ينبوع المحبين Lovers Fountain" (لوحة ١)، كما أشار علماء الحملة الفرنسية في مشاهدتهم التي دونوها عن آثار مصر إلى تابوت من الجرانيت الأسود في الشارع الصاعد لجامع أحمد ابن طولون بقلعة الكبش كان مستخدمًا كسبيل مياه أو حوض للسقي[٨] ،وبمقارنة رسم ماير بما نُشر لاحقًا في موسوعة وصف مصر، وبالإشارة لكونه مسجد بمنطقة قلعة الكبش، له سلم مرتفع يؤدي إلى المدخل، وهو ما يتوافق مع مبنى مسجد الجاولي

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.، ج ٢، ص ٤١٤؛ محمد قنديل البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة المصرية للكتاب: القاهرة، ١٩٨٣، ص ١١٥؛ أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ط ١، ص ٥٢؛ هند على حسن منصور، منشآت التصوف بمدينة القاهرة منذ الفتح العثماني وحتى نهاية القرن التاسع عشر: دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٠، ١٢-١٣.

[٦]مسجد وخانقاة الجاولي، (أثر رقم ٢٢١)، ويقع بشارع مراسينا بقلعة الكبش بالسيدة زينب، وأنشئ في عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م. وتصميم هذه الخانقاه غير منتظم الشكل وملحق بها قبتان ضريحيتان للدفن. وللاستزادة عن الخانقاه انظر: دولت عبد الله، معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، د.ن، ١٩٨٠، ص ٨٤-٨٥؛ عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م)، القاهرة: مكتبة المدبولي، ط١، ١٩٩٧، ج ١، ص ١٨٢-١٩٤؛ دليل الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة، الإصدار الأول، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠، ص ٦٥؛ عاصم محمد رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بمدينة القاهرة، القاهرة: مكتبة المدبولي، ط١، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ج٢، ق ١، ص ٣٥٠-٣٥١؛ أبو الحمد محمود فرغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢، ص ١٠٢-١٠٣؛

Doris Behrens-Abouseif, *Islamic Architectureof Cairo: An Introduction,* The American University in Cairo Press: Cairo, 1989, p.101-102.

منشئ المسجد والخانقاه هو الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي الأستادار، وكان واحدًا من مماليك الظاهر بيرس وانتقل إلى مماليك المنصور قلاوون وترقى في وظائف الدولة، وعمّر الخانقاه المعروفة باسمه إلى أن مات في ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ودفن في القبة الملحقة بالخانقاه والتي كان قد أعدها لنفسه. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن على (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣؛ ج ٢، ص ١٧٠؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩-١٤٧٠م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم شلتوت، مركز تحقيق التراث، ١٩٩٨، ج١، ص٣٢٤.

[7]Luigi Mayer, *Egypt in 1800,* pls. 9, 28.

[٨]علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مني الشايب، دار الشايب للنشر، ط١، ١٩٨٧-١٩٩٤م، ج ١٠، ص ٣١٠، ٤٢٣؛ ج ٢٨، ص ٢٩٩.

المقام على ربوة صخرية والذي يرتفع مدخله عن منسوب الطريق بحوالي ثلاثة أمتار ويُصعد إليه ببضع درجات يكون هو مسجد الجاولي.

ما هو إذًا سبب وجود هذا التابوت الفرعوني بالقرب من مسجد الجاولي وفيما تم استخدامه على وجه التحديد؟.... من حسن الحظ أن أشارت بعض النصوص التاريخية لهذا التابوت الفرعوني وقصته وسبب تواجده بالقرب من مسجد الجاولي، وكذلك الأساطير التي سُجت حول هذا التابوت ولا زال صداها موجودًا لليوم.

كانت أولى الإشارات عن هذا التابوت الفرعوني في العصر المملوكي؛ وقد أشار إليه المقريزي كأحد العجائب التي اختصت بها مصر في خططه قائلاً: **"ومن عجائبها: حوض كان بدلالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والأربعة، ويحرّكون الماء بشيء فيعبرون من جانب إلى جانب لا يعلم من عمله، فأخذه كافور الإخشيديّ إلى مصر فنظر إليه، ثم أخرج من الماء فألقي في البرّ وكان في أسفله كتابة لا يدري ما هي ثم بطل".**[٩] كما وردت هذه الرواية لدى ابن إياس في كتابه "بدائع الزهور" بشيء من التفصيل حين قال: **"كان في بحر النيل حوض مدوّر، من رخام أخضر، وعليه كتابة بقلم الطير، يركب فيه الواحد من الناس، والأربعة، ويحركونه ويعدى بهم من جانب إلى جانب، فأخذه أمير مصر كافور الإخشيدي من الماء، وألقاه في البر، فبطل فعله".**[١٠] بينما كان وصف الرحالة التركي أوليا جلبي الذي زار مصر خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي لتلك القصة بمزيد من التفاصيل والاهتمام كالتالي: **"بقلعة الكبش حصن قديم وبجوار زاوية الجاولي... وتحت سلم هذه الزاوية حوض من الرخام الأخضر من قطعة واحدة مستطيلة مصنوع على شكل سفينة... وفي قديم الزمان كان يركب في هذه السفينة أربعة أنفار يعبرون بها النيل من ضفة إلى أخرى فإذا ركبها خمسة فلابد أن تغرق بهم لأن الكهنة القدماء طلسموها هكذا.... ولقد بادر كافور الإخشيدي إلى جمع علماء مصر لديه، وكلفهم بقراءة الخط المزمور فعجزوا عن ذلك، فاضطر كافور إلى إعادة السفينة إلى شاطئ النيل لاستعمالها كسابق عهدها... حتى غرقت المركب بهم في النيل لفساد الطلسم. ولا تزال تلك السفينة الحجرية تحت سلك زاوية السلطان الجاولي مملوءة ماء زلالاً براقا يستسقي منها الرائح والغادي من الإنسان والحيوان ليل نهار دون أن ينقص من مائها شيء فهي مفعمة دائما ولا يفهم من أين يأتي إليها هذا الماء".**[١١]

---

[٩] المقريزي، الخطط، ج١، ص ٣٢.

[١٠] ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣-١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس محمد مصطفى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ج ١، ق ١، ص ١٥-١٦.

[١١] أوليا جلبي بن محمد ظلي (ت ١٦٨٢هـ؟/ ١٠٩٤م؟)، سياحتنامة مصر، ترجمة محمد عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام، أحمد سليمان، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥، ص٦٤٢؛

ويستفاد من الروايات التاريخية السالفة الذكر أن بعض المسلمين اعتقدوا أن هذا التابوت هو "حوض أو سفينة" فأعادوا استعمالها وفقًا لفهمهم لطبيعة استخدامه، وظنوا أن التابوت المستخدم "كسفينة" للعبور بين ضفتي النيل مطلسم من عمل الكهنة، نظرًا لاعتقادهم في قواه السحرية لما وجدوه من نقوش هيروغليفية مدونة عليه كانت في عرفهم "قلم مجهول أو مطلسم". وحين حاول كافور الإخشيدي فك الطلسم؛ أي قراءة الكتابة التي عليه والتي أشار إليها أوليا جلبي بأنها مكتوبة بـ "خط المزمور" عن طريق جمع العلماء لتفسير تلك النقوش المدونة على ذلك "الحوض" كانت نتيجة ذلك الاعتقاد بفساد الطلسم حين لم يوفقوا في فهم مضمون النقوش الهيروغليفية، فاستخدموه كحوض للمياه بجوار مسجد سنجر الجاولي، يُسقى منها الحيوان والإنسان، ولا يُعرف مصدر هذه المياه المتدفقة دائمة بلا سبب !.

وكما يتضح مما سبق، كانت "الطلاسم" أو النقوش الهيروغليفية المدونة على هذا التابوت سببًا أساسيًا في نسبة قوى سحرية لهذا الأثر المصنوع من "الجرانيت" - وهي مادة شديدة الصلابة- في عبور نهر النيل بعدد لا يزيد عن أربعة أفراد تارة، وبكونه مصدرًا للماء المتدفق دائمًا تارة أخرى. لذا، كان وجود هذا التابوت الفرعوني بالقرب من مسجد الجاولي من المناظر التي شدت انتباه ماير فسجلها بريشته بعناية، فقد دون موضعه أسفل المسجد، ورسم بشكل دقيق النقوش الهيروغليفية المدونة عليه، كما رصد كذلك التفاف عامة الناس حول هذا التابوت (لوحة ٢) مما يؤكد أنه كان موضع الاهتمام من العامة.

كما أفادت ملاحظات العلماء المصاحبون للحملة الفرنسية على هذا التابوت في تسجيل الروايات الشعبية التي تطرقت إلى مسامعهم عنه؛ ففي أحد المواضع بموسوعة وصف مصر - التي نُشرت لاحقًا بعد عودتهم إلى بلادهم- أشاروا إلى موضع التابوت ومسماه لدى العامة كالتالي: **"أمام جامع الجاولي تابوت مصري جميل من الجرانيت الأسود، يطلق عليه المواطنون: "الحوض المرصود"، ... وتتناقل الأساطير حول هذا الموضوع"**.[١٢] واستطرد علماء الحملة الفرنسية في موضع آخر في ذكر قصة هذا التابوت واستخدامه قائلين: **"في الشارع الكبير لمسجد ابن طولون والصاعد إلى القلعة، وجد الفرنسيون تابوتًا من الجرانيت الأسود... حيث يعتقد أن هذا التابوت يسمى ينبوع العشاق ولكننا نجهل أصل هذه التسمية... ونحن نجهل الحقبة الزمنية أو المناسبة التي تم فيها نقل هذا التابوت إلى القاهرة، وكذلك المكان الذي أخذ منه.... ولكننا نعلم جيدًا في أي الأغراض استخدمه المصريون المحدثون، الذين وجدوا أن هذا التابوت يصلح لأن يستخدم كحوض أو**

Doris Behrens-Abouseif, "Between Quarry and Magic: The Selective Approach to Spolia in the Islamic Monuments of Egypt" in *Dalmatia and the Mediterranean: Portable Archaeology and the Poetics of Influence*, Alina Payne, (ed.), Boston; Leiden: Brill, 2014, p. 410.

[١٢] علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج ١٠، ص ٣١٠، ٤٢٣.

مسقى، فقاموا بعمل فتحة في أحد طرفيه لتفريغ المياه... وقد ظلت المياه بداخله لفترات طويلة وهو ما أدى بفعل عوامل الزمن والاحتكاك إلى تآكل جزء من النقوش. كما نتج عن ذلك أيضًا أن الجزء الخارجي للتابوت بحالة أفضل بكثير من الجزء الداخلي. وهذا التابوت من الجرانيت الأسود ويبلغ طوله ٢.٧م، والأثر كله تقريبًا مغطي بالنقوش الهيروغليفية سواء من الداخل أو من الخارج".[١٣]

وبفضل وصف علماء الحملة الفرنسية السابق المسهب نجد أن للتابوت عدة مسميات كل منهما أرتبط بأسطورة أو خرافة كان لها مدلول انعكس على استخدامه؛ فقد أطلق عليه العامة أولاً اسم "الحوض المرصود"، لكونه مستخدمًا كحوض للسقاء كما ذكر سلفًا. وقد شاعت التسمية لتطلق على أحد شوارع منطقة قلعة الكبش كما ذكر على باشا مبارك ووصف هذا التابوت بأنه: **"حوض من الحجر الصوان الأسود كان في فجوة على قدره بالقرب منقلعة الكبش وكان معد للسقي ...وعلى جميع أسطحته كتابة من الداخل ومن الخارج".**[١٤] ولازال هناك شارعًا ومشفي بمنطقة السيدة زينب حاليًا يحمل اسم هذا التابوت؛ "الحوض المرصود" إلى يومنا هذا. كما سمُى هذا التابوت أيضًا "فوارة الحب أو ينبوع العشاق" وفقًا للاعتقاد القائل بأن مياه هذا التابوت تشفي من "الحب".[١٥] وإن اختلفت مسميات هذا التابوت؛ إلا أنه استخدم كحوض لسقاء المياه العذبة التي تنبع من مصدر مجهول وفقًا لما ذكره علماء الحملة الفرنسية، ووفقًا لثقب لا زال موجودًا بأحد جوانب هذا التابوت إلى اليوم.

وهذا التابوت الفرعوني مصنوع من الجرانيت الأسود، قد نُقل التابوت إلى المتحف البريطاني(رقم سجل EA 23) (لوحة ٣) بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١م، وهو بحالة جيدة جدًا من الحفظ.[١٦] ويُنسب هذا التابوت لأحد الأمراء

---

[١٣] علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج ٢٨، ص ٢٩٩- ٣٠٠.

[١٤] على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، المطبعة الأميرية الكبرى: بولاق، ١٣٠٥-١٣٠٦ه/ ١٨٨٧-١٨٨٨م ج ٢، ص ١٢٠؛ آدم فرانسو جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل: مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م، نقله عن الفرنسية وقدم له و علق عليه أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣٠٨.

[١٥] وصف مصر، ج٢٨، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٢، ص ١٢٠؛

Jane Jakeman, *Art and Communication in Mamluk Architecture*, Unpublished Doctoral Thesis - Oxford University: Faculty of Oriental Studies, 1993, vol. I, p. 38; Luigi Mayer, *Egypt in 1800*, pls. 9, 28; Jean-Pierre Corteggiani, "The Site from the Primeval Era to the Arab Invasions", in: *The Glory of Cairo: An Illustrated History*, Andre Raymond (ed.), American University in Cairo Press, 2002 p. 15; Doris Behrens-Abouseif, *Between Quarry and Magic*, p. 409.

[١٦] وجدير بالذكر الإشارة إلى أن الموقع الرسمي للمتحف البريطاني يسجل أن هذا التابوت عُثر عليه أسفل مسجد أحمد بن طولون، على الرغم من أن ما جاء في المصادر التاريخية يشير صراحة إلى أن هذا التابوت كان واقعًا أسفل مسجد الجاولي. انظر الصفحة الرسمية لموقع المتحف البريطاني:

ويدعى "هاب-مين" من عهد الدولة الفرعونية المتأخرة، ويشغله من جوانبه الأربعة الداخلية والخارجية نقوشًا هيروغليفية ومناظر للآلهة المصرية القديمة(لوحة ٤).[١٧]

ولم تنتهي أسطورة هذا التابوت عند هذا الحد؛ فقد حدثنا المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين في كتابه "المصريون المحدثون" عن خرافة ثالثة منسوجة حول هذا التابوت سمعها بالرغم من التابوت كان قد نُقل للمتحف البريطاني آنذاك؛ ففي يوم الاحتفال بذكرى عاشوراء –أي العاشر من شهر المحرم- يظهر الجن بموضع هذا التابوت ويقوم بتحويل الأقوات والمؤن إلى ذهب بما نصه: **"ويقول بعض القاهريين أن هناك جماعة من الجن يظهرون في هيئة الانس... أمام ناووس قديم يسمي الحوض المرصود. وكان هذا الناووس في كوة تحت درجات تصعد إلى باب مسجد يجاور القصر القديم المسمى بقلعة الكبش. وقد نقله الفرنسيين أثناء احتلالهم مصر، وهو الآن بالمتحف البريطاني. ويقال إن سوق الجن لم يعد يقام منذ أن نقل هذا الناووس، وقيل لي أنه لم يكن يعلم بتلك العادة غير نفر قليل وكان كل من يصادفه حظه فيمر بسوق الجن ويشتري شيئًا من الفاكهة والكعك أو الخبز، يري ما اشتراه قد تحول إلى ذهب في الحال".**[١٨]

أي أن أثر هذا التابوت كان لازال حاضرًا في أذهان عامة الناس على الرغم من عدم وجوده، ولذات السبب أُطلق اسم "الحوض المرصود" على هذا المكان بعد أن أصبح هذا التابوت أثرًا بعد عين، وظل الاسم يدل على أسطورة صدقها بعض العامة. وما سبق يعد جانبًا من المعتقدات الشعبية للمصريين عن الآثار القديمة، وبخاصة الفرعونية واستخدامها السحري، فكما أشار إدوارد وليم لين[١٩] أن العرب بشكل عام يؤمنون بالخرافات، وأهل مصر أكثرهم تعلقًا بهذه الاعتقادات الباطلة، وأهم ما كان يميز إيمان بعض المصريين بالخرافات هو اعتقادهم في التمائم والأحجبة التي يستند أكثرها على السحر، وكانت الآثار القديمة والكتل الحجرية المنقوشة بالهيروغليفية الموجودة بمنشآت القاهرة جزءًا منها بلا شك.

---

http://www.britishmuseum.org/research/collection_online/collection_object_details.aspx?objectId=111531&partId=1&object=20738&page=1(Accessed16/1/2016).

[17] Samuel Sharpe, *Egyptian Antiquities in the British Museum*, London, 1862, p. 113-14; Bertha Porter, Rosalind Moss, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings*, Oxford: Griffith Institute, Ashmolean Museum, 1960, vol. IV, p. 72; Jane Jackman, *Abstract Art*, II, p. 165; Jean-Pierre Corteggiani, *The Site*, p. 15.

[١٨] إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم، نقله الى العربية عدلي طاهر نور، دار النشر للجامعات المصرية: القاهرة، ط ٢، ١٩٧٥، ص ٣٦٠-٣٦١؛

Doris Behrens-Abouseif, *Between Quarry and Magic*, p. 410.

[١٩] إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، ص ٢١٧.

- مسلة فرعونية مستخدمة كعتب مدخلأحد المساجد القلعة الجبل

ويتمثل الأثر الفرعوني التالي والمنقول إلى أحد مساجد قلعة الجبل والذي كان لويجي ماير قد رصده بريشته في أحد لوحاته الصادرة في كتاب *ViewsinEgypt* في هيئة "مسلة فرعونية"، وقد أشار إليها ماير على أنها "جزء من مسلة" منقوشة بكتابات هيروغليفية مستخدمة كعتب لمسجد بالقلعة أمام قاعة يوسف (لوحة ٥).[٢٠]

ومن المعلوم أن قلعة الجبل قد أنشئ بها أكثر من مسجد قبل عهد والي مصر محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م)؛ منها ما يعود لعهد سلاطين المماليك، ومساجد أخرى أنشئت إبان العصر العثماني؛ فأي تلك المساجد أدَنا التي استخدمت فيها هذه المسلة الفرعونية ذات النقوش الهيروغليفية كعتب لمدخلها؟.

وإن لم تشر المصادر التاريخية المملوكية لوجود عتب بمدخل مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة،[٢١] على الرغم من الروايات التي وردت لدى بعض المؤرخين

---

[20]Luigi Mayer, *Egypt in 1800*, pl. 29.

وقد ورد تسمية الإيوان الكبير باسم "قاعة يوسف" أو ديوان يوسف" زمن الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م)، وهى نفس الفترة الزمنية التي سجل خلالها المستشرق ماير لوحاته عن مصر. وقد سمى الإيوان الكبير بهذا الاسم نسبة إلى يوسف صلاح الدين الأيوبي بالخطأ. علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج ١٠، ص ٢٢٨-٢٣١؛ جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٢٣٢، حاشية ٢؛ بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة أحمد دراج، مراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ص ١٢٣؛

Prissed'Avennes, *Arab Art As Seen Through The Monuments of Cairo, from The 7th Century to The 18th*, translated by J.I Erythaspis, Paris London, Le Sycomore& Al Saqi Books, 1983, p. 87; Nasser Rabbat, *The Citadel of Cairo: A New Interpretation of Royal Mamluk Architecture*, Brill, 1995, p. 152.

[٢١]جامع الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل (أثر رقم ١٤٣)، ويقع أمام جامع محمد على بقلعة الجبل. وقد أعاد الناصر محمد بناء جامع القلعة القديم فهدمه في ٧١٨ه/١٣١٨م وأعاد إنشائه في مكان منشآت خدمية أخرى بالقلعة. وفي عام ٧٣٥ه/ ١٣٣٥م شرع الناصر في تجديد عمارة جامع القلعة، وجاء هذا القرار في أعقاب الانتهاء من الإيوان الناصري المواجه للمسجد، فيبدو أن الناصر محمد أراد أن يخلق توازنًا بصريًا بين المنشأتين.وجديرًا بالذكر أن جامع الناصر محمد بالقلعةهو المنشأة المملوكية البحرية الوحيدة في القلعة التي لا تزال قائمة بأكملها، وواحدًا من أكثر الجوامع جلالاً ومهابة في العصر المملوكي، بمسقطه المربع وبأعمدته الفرعونية والرومانية والبيزنطية المعاد استعمالها المصنوعة من الرخام والجرانيت ذو التيجان المختلفة الطرز. جمال جاد الرب وآخرون، "مقر السلطنة: القلعة وما حولها"، في الفن المملوكي: عظمة وسحر السلاطين، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١، ص ٨١؛ خالد عزب، التحولات السياسية وأثرها على العمارة بمدينة القاهرة من العصر الأيوبي حتى عصر الخديوي إسماعيل (٥٦٧-١٢٩٦ه/ ١١٧١-١٨٧٩م)، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص ٦٨؛ أحمد عبد الرزاق، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي (٢١-٩٢٣ه/٦٤١-١٥١٧م)، دار الفكر العربي، ٢٠٠٩، ص ٢٦٤-٢٦٦؛ ناصر رباط، تاريخ قلعة القاهرة، المصور أرنو دي بواتيسلان، المجلس الأعلى للآثار، ط٢، ٢٠١٠، ص ١٢-١٣.

لطلب الناصر محمد بن قلاوون[٢٢] نقل مجموعة عمد جرانيتيه ضخمة من معبد الأشمونين[٢٣] ومعابد الصعيد إلى مسجده وإقامتها به بنجاح؛[٢٤] فيُعتقد أن المسجد المقصود هو مسجد الناصر محمد بن قلاوون.

وتتمثل الأسباب الداعية لترجيح أن المسجد الذي كان ماير قد رسمه هو مسجد الناصر محمد لموضعه الكائن أمام الإيوان الكبير والمعروف خطئًا باسم قاعة أو ديوان يوسف من جانب، كما قد يتوافق ما جاء علي المسلة من نقوش هيروغليفية أفادت بأن مصدرها مدينة الأشمونين، وما ذكر سلفًا من تكليف الناصر محمد لأمراء الأشمونين والصعيد بجلب العمد ومواد البناء القديمة لبناء مسجده ومنشآته الأخرى

---

[٢٢]تولى الناصر محمد بن قلاوون عرش مصر ثلاث مرات كان أولها في سنة ٦٩٣ه/ ١٢٩٣م، ثم وثب على الحكم حسام الدين لاجين، ثم عاد الناصر محمد للحكم مرة ثانية سنة ٦٩٩ه/ ١٢٩٩م حتى استبد بيبرس الجاشنكير بالحكم، وعاد الناصر في المرة الثالثة والأخيرة سنة ٧٠٩ه/ ١٣٠٩م بعد خلع بيبرس الجاشنكير، ولقد كانت فترة حكمه الثالثة التي ناهزت واحدًا وثلاثين عامًا فترة استقرار سياسي واقتصادي انتعشت خلالها الفنون والثقافة والعمارة بشكل خاص حيث كان محبًا للعمارة. المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٣٩؛ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، ٢٠٠٦، ج ٢، ق٢، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ حياة ناصر الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده: مع تحقيق ودراسة وثيقة وقف سرياقوس، مكتبة الفلاح، ١٩٨٣، ص ١٩-٢٦.

[٢٣]مدينة الأشمونين كانت في عهد الفراعنة قسمًا من أقسام مصر بالوجه القبلي، وفي عهد الرومان هرموبوليتس، وفي عهد العرب كورة الأشمونين. وفي أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كورتان فأصبحت إقليم كبير، وفي عام ١٨٣١م ضُمت إلى أسيوط ثم المنيا. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ه/ ١٢٢٥م)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية: بيروت،١٩٩٠، ج١، ص ٢٣٧-٢٣٨؛ ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ه/ ١٤٦٩-١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأجزاء ١-١٢، ١٥ تحقيق ابراهيم على طرخان، ج١٣ تحقيق فهيم محمد شلتوت، ج ١٤ تحقيق جمال محرز وفهيم محمد شلتوت، ج ١٦ تحقيق جمال الدين شيال وفهيم محمد شلتوت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥،ج ٩، ص ٤٠، حاشية رقم ٢.

[٢٤]أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري (ت ٧٣٦ه/ ١٣٣١-١٣٣٢م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٩: الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة: قسم الدراسات الإسلامية، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ١٩٦٠-١٩٩٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٣٨٢-٣٨٣؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيي (ت ٧٤٩ه/١٣٤٨-١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٨١؛ القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على (ت ٨٢١ه/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب الخديوية، ١٩١٣، ج ٣، ص ٣٧٠-٣٧١؛ المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٢، ٣٢٥؛ السلوك، ج ١، ق ٣، ص ١٨٤، ج ٢، ق ٢، ص ٣٨٠؛ الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٢ه/١٤٦٧-١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، دار العرب البستاني: القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٢٤-١٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٥٦.

بالقلعة من جانب آخر، وذلك على الرغم من أن صورة المسجد التي رسمها ماير لا تشابه هيئة مسجد الناصر بالقلعة؛ فربما لم يصور ماير مسجد الناصر محمد بدقة. كما أن علماء الحملة الفرنسية حين أشاروا للمسلة المذكورة قد رجحوا أيضًا أنه مسجد الناصر محمد بن قلاوون، ولكن يبقي أن هذا الافتراض محل ترجيح وتخمين نظرًا لعدم إشارة المصادر التاريخية المملوكية المعاصرة لبناء أو تجديد مسجد الناصر بالقلعة لتلك المسلة.

وتعد اللوحة المرسومة بريشة ماير الشاهد الوحيد لاستخدام هذه المسلة كعتب لمدخل المسجد المذكور، وقد قام علماء الحملة الفرنسية بالإشارة كذلك لتلك المسلة –شأنهم في ذلك شأن وصف التابوت الفرعوني السالف الذكر- ولكن يبقي أن ماير أول من صورها بموضعها قبل نقلها من المسجد مع ما نُقل من الآثار المصرية الأخرى لتلحق بركاب علماء الحملة الفرنسية المغادرون لمصر.

وقد عُثر على مسلة أخرى استُخدمت كدعامة لأحدى نوافذ نفس المسجد بالقلعة وفقًا لما أشار إليه علماء الحملة الفرنسية مماثلة للمسلة التي استخدمت كعتب سفلي للمسجد. وقد رجح علماء الحملة الفرنسية نسبة المسلتين إلى مسجد الناصر محمد بن قلاوون (لوحة ٦).[٢٥] وقد نقل العلماء المصاحبون للحملة الفرنسية هاتان المسلتان من موضعهما بالمسجد إلى المجمع العلمي بالقاهرة ثم إلى الإسكندرية، ثم وضعتا على سفينة تمهيدًا لنقلهما إلى باريس، ثم بموجب معاهدة الإسكندرية عام ١٨٠١م استولى الجيش الإنجليزي على المسلتان، فانتقلتا لبريطانيا مع ما تم نقله من العديد من الآثار المصرية وقت الحملة الفرنسية على مصر وهي محفوظة بالمتحف البريطاني حاليًا (رقم سجل EA 523-EA 524) (لوحة ٧).[٢٦]

والمسلتان يُنسبا لعهد الملك نكتانبو الثاني من عهد الأسرة الثلاثون الفرعونية ومكرستان لرب مدينة الأشمونين وفقًا لما ورد عليهما من نقوش هيروغليفية ويزين الجوانب الأربعة للمسلتين عمود من النقوش الهيروغليفية والتي لا تزال واضحة لليوم.[٢٧] ونقتبس جزء من وصف علماء الحملة الفرنسية عن المسلتان كالتالي:

"وعلى الرغم من صغر حجم هاتين المسلتين، فنراهما في موضع مقارنة مع المسلات الكبيرة الموجودة في منطقة الصعيد... ويزين كل واجهة عمود واحد من النقوش الهيروغليفية، حيث نرى صورًا للطيور... بالإضافة إلى الحية المقرنة

[٢٥] علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج ٢٨، ص ٢٩٧-٢٩٨.

[٢٦] علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج ٢٨، ص ٢٩٨؛

Alexandre Varille, "QuelquesDonnéesNouvelles sur la Pierre Bekhen des AnciensÉgyptiens", *BIFAO* 34, 1934, p. 95-96. Nigel Strudwick, *Masterpieces of Ancient Egypt*, London, 2006, p.286-287.

[27] Jane Jackman, *Abstract Art*, vol. II, p. 177-179.

والنحل مشكّلة بعناية فائقة ومنقوشة بدقة...ويبلغ الطول الحالي لهاتين المسلتين ٦.٢م ذلك لأن القمم العلوية لها مكسورة ولا نعرف كيف كان شكلها".[٢٨]

ثالثًا: أبرز أسباب توظيف بعض الآثار الفرعونية المنقولة في العمائر الإسلامية

ويقودنا الحديث السابق عن استعمال "مسلة فرعونية منقوشة بالكتابات الهيروغليفية" كعتب لمدخل أحد المساجد لألقاء الضوء على أسباب استخدام وتوظيف بعض الآثار الفرعونية المنقولة إلى عمائر القاهرة الإسلامية؛ فلا زال يوجد العديد من الكتل الحجرية ذات نقوش فرعونية مستخدمة كأعتاب لمداخل بعض العمائر بمدينة القاهرة خلال العصر المملوكي - بجانب ما نُقل من تلك الأعتاب من مواضعها لتستقر ببعض المتاحف-[٢٩] للاعتقاد بوجود أهمية سحرية لتلك النقوش الهيروغليفية؛ بأنها طلاسم قادرة على حماية المنشآت. وبشكل عام، فقد اهتم المسلمون بالسحر الذي نسبوه للآثار الفرعونية جل اهتمام، وصاروا يقرنونه بها وبالأخص الآثار المنقوشة منها، واعتقد بعضهم في قوى تلك الآثار السحرية التي في درء جانب من أخطار ومصائب المجتمع المصري في تلك الفترة الطواعين والأمراض في بعض الأحيان.[٣٠] وظلت تلك الأفكار جزءًا من المعتقدات الشعبية بين المصريين، وبين المؤرخين والرحالة كذلك، فحين ذكر ابن إياس في جملة ما خُصّت به مصر من المحاسن دون غيرها من البلاد أشار إلى أنها موطن علم السحر والطلسمات القديمة.[٣١]كما يعكس استخدام "تابوت فرعوني" مستخدم كحوض للسقاء المياه، وكذلك المسلة الفرعونية المستخدمة كعتب سفلي لأحد مساجد قلعة الجبل، وغيرها من الآثار الفرعونية المنقولة موروث مصري شعبي يعتقد بالقوى السحرية للآثار المصرية، وبالأخص المحلاة بنقوش هيروغليفية لما تحويه من صور لكائنات حية من جانب، ولعدم فهم لتلك النقوش واعتبارها قلم مطلسم أو مجهول من جانب آخر.[٣٢]

---

[٢٨]علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج ٢٨، ص ٢٩٨.

[٢٩]انظر مقال حسن عبد الوهاب، الآثار المنقولة والمنتحلة في العمارة الاسلامية، حوليات المجمع العلمي المصري، القاهرة ٩ أبريل ١٩٥٦، ص ٢٤٣-٢٥٣؛

DésiréeHeiden, "PharaonischeBaumaterialien in der AyyubidischenStadtbefestigung von Kairo: ProjektzurSystematischenUntersuchungAltägyptischerSpolien in der MittelalterlichenArchitekturÄgyptens", *MDAIK* 57, 2001, p. 60; Doris Behrens-Abouseif, "Architectural Style and Identity in Egypt", in *Material Identities*, Joanna Sofaer (ed.), 2008, p. 73.

[30]Okasha El-Daly, *The Missing Millennium, Ancient Egypt in Medieval Arabic Writings*, London, 2005, p.80; Finbarr Barry Flood, "Image against Nature: Spolia as Apotropaia in Byzantium and the dar al-Islam", *MHJ*, Vol. 9, No. 1. April, 2006, p. 158.

[٣١]ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٥.

[٣٢]البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩ه/ ١٢٣١م)، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، إشراف

وبالرغم من ندرة المصادر التي تشير لتلك الظاهرة بشكل مباشر؛ فكان أهم هدف مرجو من تلك الأعتاب هو للاستفادة من قوتها وقدرتها على إبعاد الزواحف أو الحشرات أو القوارض.[٣٣] وأشار المقدسي أن تلك الطلسمات لا توجد سوى في مصر وسوريا؛[٣٤] وقد قصد المقدسي بالتمائم المطلسمة الآثار المنقولة ذات النقوش التصويرية التي استخدمت في الأبواب والمداخل في المباني ذات الطبيعة الدينية سواء مسجد أو مدرسة أو خانقاه لما يعتقد فيها من قوي سحرية تستطيع درء أي خطر أو شر، فيعد وجود العلامات التصويرية الهيروغليفية مثل الثعابين والعقارب والطيور المحفورة على تلك الأعتاب مدعاةلمنع مثليتها من المخلوقات من الدخول للمنشأة، ولذلك كانت أهم الشروط الواجب توافرها في تلك التمائم الأثرية لتؤدي الغرض منها أن تكون ظاهرة للمارة ولزوار المنشآت الملحق بها تلك الأعتاب الفرعونية، لذا توضع في مكان ظاهربمداخل المنشآت.[٣٥] ولم يكن الاعتقاد في القوى السحرية للنقوش الفرعونية هو معتقد شعبي بين المسلمين فحسب، فقد استُعمل عتب سفلي فرعوني ذو نقوش هيروغليفية بمدخل أحدى كنائس مدينة القاهرة في القرن ٧ه/ ١٣م نظرًاللاعتقاد في قدرته لمنع دخول الطيور إلى الكنيسة.[٣٦]

وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الثانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ٩٢، ٩٧.

[33] Jane Jakeman, *Abstract Arts*, vol.I, 115-155.

وقد رأى كريزويل أن النية من استخدام كتل حجرية فرعونية ذات نقوش هيروغليفية بأعتاب بعض مداخل العمائر الإسلامية يمر عليها المصلين يغذي شعور العامة بعبورهم على أثر وثني. وفي اعتقادي أيضًا أن رواية كريزويل هي رواية عارية عن الصحة، ولا يؤيدها أي روايات تاريخية، فضلاً عن أن المسلمون استخدموا العديد من العناصر المعمارية والآثار الفرعونية المنقولة في مواضع مختلفة بالمنشآت الإسلامية وفقًا للاحتياج إليها، وليس لمزية دينية على الإطلاق، ولا يوجد ما يفيد بهذه الفرضية. انظر:

K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, Oxford, vol. II, 1952-1959, p. 101.

[٣٤] المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٠ه/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المدبولي، ١٩٩١، ص ٢١١.

[35] Finbarr Flood, *Image against Nature*, p. 144, 149, 155-156; DesiréeHeiden, *PharaonischeBaumaterialien, 57*, p. 61; Michael Greenhalgh, *Marble Past, Monumental Present: Building with Antiquities in the Mediaeval Mediterranean,* Brill, Netherlands; Leiden, 2009, p. 464.

[36] Caroline Williams, *Islamic Monuments in Cairo: A Practical Guide*, Cairo, 1985, p. 77; Finbarr Flood, *Image against Nature*, p. 156.

خاتمة

في ضوء هذه الدرسة تم الإشارة إلى لوحات للمستشرق لويجي ماير وأهميتها، وأبرزنا جانبًا منها كان على قدر من الأهمية؛ إذ رصدت نماذج من الآثار الفرعونية المحلاة بالنقوش الهيروغليفية التصويرية المنقولة إلى بعض العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة.

كما حوت تلك اللوحات من منظور مماثل تفاعل عامة الناس مع تلك الآثار ومواضعها بالمنشآت المنقولة إليها؛ فنلاحظ التفاف العامة نحو التابوت المعروف باسم "الحوض المرصود" في اللوحات المشار إليها، وكذلك كانت المسلة الفرعونية المستخدمة كعتب لأحد مساجد قلعة الجبل موضع لعبور المرتادين للمسجد، مما يعكس من جانب أن تلك الآثار المنقولة قد أضحت جزءًا من المنشأة الإسلامية المنقولة إليها، وتتمتع بخصوصيته وأهميته من جانب، ومن جانب آخر اتسمت بالغرابة، مما دعا ماير لتسجيلها في لوحاته عن مصر، فصارت تلك اللوحات حجَّة– مع ما جاء لاحقًا في موسوعة وصف مصر- لاستخدم بعض الآثار الفرعونية في بعض العمائر الدينية بمدينة القاهرة، ودليلاً على تقبل المصريون للتراث الأثر الفرعوني ليشغل جزءًا من منشآتهم الدينية.

كما ذكرنا أبرز دوافع استخدام المسلمين في العصور الوسطى لتلك الآثار الفرعونية المنقولة ودمجها في الآثار الإسلامية، ليكون لها دورًا وظيفيًا من جانب، ودلالة سحرية من جانب آخر تعكس الموروث الشعبي لدى بعض العامة آنذاك.

Abstract

The watercolours panoramic portraits of the painter and pre-orientalist Luigi Mayer (1755–1803) is considered one of the earliest and most important drawings spotted the landscapes of ancient sites from Egypt, particularly ancient monuments in Cairo, Alexandria, the Delta and the Nile through the period of the French Expedition in Egypt (1799-1801). These sketches are believed to be a pictorial memory ancient monuments and sites, which completely disappeared later. There were some portable pharaonic monuments were transported and attached to some Islamic monuments in Cairo until 1800 that were among the dominant details observed by Mayer in his paintings. These portable pharaonic monuments have been identified through the watercolors portraits of Mayer, besides tracing its locations in the Islamic buildings and assisting to shed light on the reasons for using of such portable pharaonic monuments in the Islamic structures generally.

مصادر ومراجع الدراسة

أولاً : المصادر العربية

- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠ه/ ١٥٢٣-١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ٥ أجزاء، ج ١- ٣ مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، ج٤ -٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٦٠- ١٩٦١.

- ابن تغري بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ه/ ١٤٦٩-١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، الأجزاء ١-١٢، ١٥ تحقيق ابراهيم على طرخان، ج١٣ تحقيق فهيم محمد شلتوت، ج ١٤ تحقيق جمال محرز وفهيم محمد شلتوت، ج ١٦ تحقيق جمال الدين شيال وفهيم محمد شلتوت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥

- ،الدليل الشافي على المنهل الصافي، جزءان، تحقيق فهيم شلتوت، مركز تحقيق التراث، ١٩٩٨.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن على (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣.

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيي (ت ٧٤٩ه/ ١٣٤٨-١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٥.

- ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل ابن عبد الله (ت ٦٩٢ه/١٢٩٢-١٢٩٣م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦.

- أوليا جلبي بن محمد ظلي (ت ١٦٨٢ه ؟ / ١٠٩٤م؟)، سياحتنامة مصر، ترجمة محمد عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام، أحمد سليمان، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥.

- البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩ه/ ١٢٣١م)، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، إشراف وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الثانية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.

- الدواداري، أبي بكر بن عبد الله بن أبيك (ت ٧٣٦ه/ ١٣٣١-١٣٣٢م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٩: الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت

رويمر، القاهرة: قسم الدراسات الإسلامية، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠.

- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس، دار العرب البستاني: القاهرة، ١٩٨٨.

- القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ١٥ جزء، دار الكتب الخديوية، ١٩١٣.

- المقدسى، شمس الدين محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المدبولي، ١٩٩١.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١-١٤٤٢م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

- ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، محمد مصطفى زيادة، ٤ أجزاء، دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، ٢٠٠٦.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٥م)،معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٠.

ثانيًا: المراجع العربية

- أبو الحمد محمود فرغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢.

- أحمد عبد الرزاق، العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي (٢١-٩٢٣هـ/٦٤١-١٥١٧م)، دار الفكر العربي، ٢٠٠٩.

- آدم فرانسو جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل: مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م، نقله عن الفرنسية و قدم له وعلق عليه أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجى: القاهرة، ١٩٨٨.

- إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون: شمائلهم و عاداتهم، نقله الى العربية عدلى طاهر نور، دار النشر للجامعات المصرية: القاهرة، ط ٢، ١٩٧٥

- أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٧.

- بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة القاهرة، ترجمة أحمد دراج، مراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.

- جمال جاد الرب وآخرون، "مقر السلطنة: القلعة وما حولها"، في الفن المملوكي: عظمة وسحر السلاطين، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١.

- حسن عبد الوهاب، الآثار المنقولة والمنتحلة في العمارة الاسلامية، حوليات المجمع العلمي المصري، القاهرة ٩ أبريل ١٩٥٦، ص ٢٤٣-٢٨٣.
- حياة ناصر الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده: مع تحقيق ودراسة وثيقة وقف سرياقوس، مكتبة الفلاح، ١٩٨٣.
- خالد عزب، التحولات السياسية وأثرها على العمارة بمدينة القاهرة من العصر الأيوبي حتى عصر الخديوي إسماعيل (٥٦٧-١٢٩٦هـ/ ١١٧١-١٨٧٩م)، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠١.
- دليل الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة، الإصدار الأول، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠.
- دولت عبد الله، معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، د.ن، ١٩٨٠.
- عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣ه/١١٧١-١٥١٧م)، جزءان، القاهرة: مكتبة المدبولي، ط١، ١٩٩٧.
- ، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بمدينة القاهرة، ٥ أجزاء، القاهرة، مكتبة المدبولي، ط١، ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مني الشايب، دار الشايب للنشر، ط١، ١٩٨٧-١٩٩٤م.
- على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء، المطبعة الأميرية الكبرى: بولاق، ١٣٠٥-١٣٠٦ه/ ١٨٨٧-١٨٨٨م.
- محمد قنديل البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة العامة المصرية للكتاب: القاهرة، ١٩٨٣.
- ناصر رباط، تاريخ قلعة القاهرة، المصور أرنو دي بواتيسلان، المجلس الأعلى للآثار، ط٢، ٢٠١٠.
- هند على حسن منصور، منشآت التصوف بمدينة القاهرة منذ الفتح العثماني وحتى نهاية القرن التاسع عشر: دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

- Alexandre Varille, “QuelquesDonnéesNouvelles sur la Pierre Bekhen des AnciensÉgyptiens”, *BIFAO* 34, 1934, p. 93-102.
- Anda-Lucia Spânu, *Luigi Mayer and His 18th Century Views*, Brukenthal. ActaMusei, VII.2, 2012.
- Bertha Porter, Rosalind Moss, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings*, 8 vols., Oxford: Griffith Institute, Ashmolean Museum, 1960.
- Caroline Williams, *Islamic Monuments in Cairo: A Practical Guide*, Cairo, 1985.
- DésiréeHeiden, “Pharaonische Baumaterialien in der Ayyubidischen Stadtbefestigung von Kairo: Projektzur Systematischen Untersuchung Altägyptischer Spolien in der Mittelalterlichen Architektur Ägyptens”, *MDAIK* 57, 2001, p.59-72.
- Doris Behrens-Abouseif, *Islamic Architectureof Cairo: An Introduction*, The American University in Cairo Press: Cairo, 1989.
- , “Architectural Style and Identity in Egypt”, in *Material Identities*, Joanna Sofaer (ed.), 2008.
- , “Between Quarry and Magic: The Selective Approach to Spolia in the Islamic Monuments of Egypt” in: *Dalmatia and the Mediterranean: Portable Archaeology and the Poetics of Influence*, Alina Payne, (ed.), Boston; Leiden: Brill, 2014.
- Finbarr Barry Flood, “Image against Nature: Spolia as Apotropaia in Byzantium and the dar al-Islam”, *MHJ*, Vol. 9, No. 1. April, 2006, p. 143-166.
- Fiona Barnard, *Luigi Mayer: Views in Egypt*, 1801, University of Reading, Oxford, 2007.
- Jane Jakeman, *Art and Communication in Mamluk Architecture*, 2 vols., unpublished Doctoral Thesis - Oxford University: Faculty of Oriental Studies, 1993.
- Jean-Pierre Corteggiani, “The Site from the Primeval Era to the Arab Invasions”, in: *The Glory of Cairo: An Illustrated History*, Andre Raymond (ed.), American University in Cairo Press, 2002.
- K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt*, Oxford, 2 vols., 1952-1959.
- Luigi Mayer, *Egypt in 1800*,Cairo, Zeitouna Press, 1999.
- Michael Greenhalgh, *Marble Past, Monumental Present: Building with Antiquities in the Mediaeval Mediterranean*, Brill, Netherlands; Leiden, 2009.

- Nasser Rabbat, *The Citadel of Cairo: A New Interpretation of Royal Mamluk Architecture*, Brill, 1995.
- Nigel Strudwick, *Masterpieces of Ancient Egypt*, London, 2006.
- Okasha El-Daly, *The Missing Millennium, Ancient Egypt in Medieval Arabic Writings*, London, 2005.
- Prissed'Avennes, *Arab Art As Seen Through The Monuments of Cairo: from The 7th Century to The 18th*, translated by J.I Erythaspis, Paris London, Le Sycomore& Al Saqi Books, 1983.
- Samuel Sharpe, *Egyptian Antiquities in the British Museum*, London, 1862.

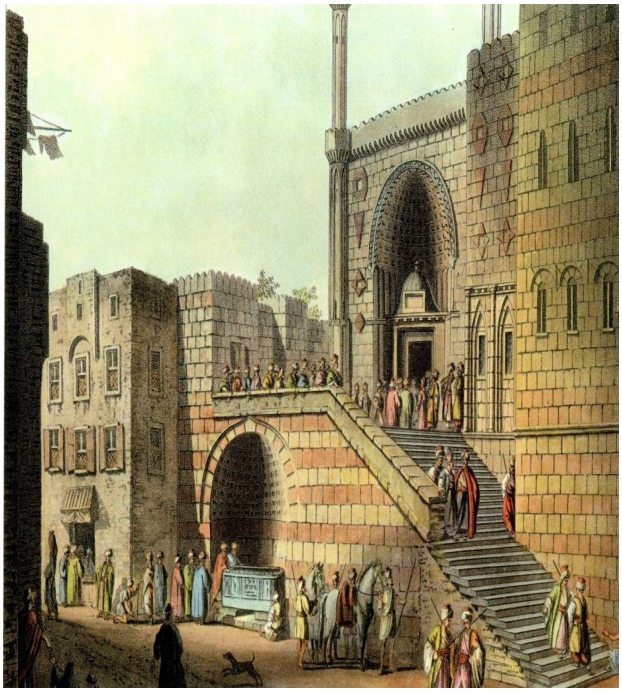

لوحة ١: التابوت الفرعوني أسفل مسجد الجاولى والعامة من حوله
نقلاً عن Luigi Mayer, *Egypt in 1800*, pl.28

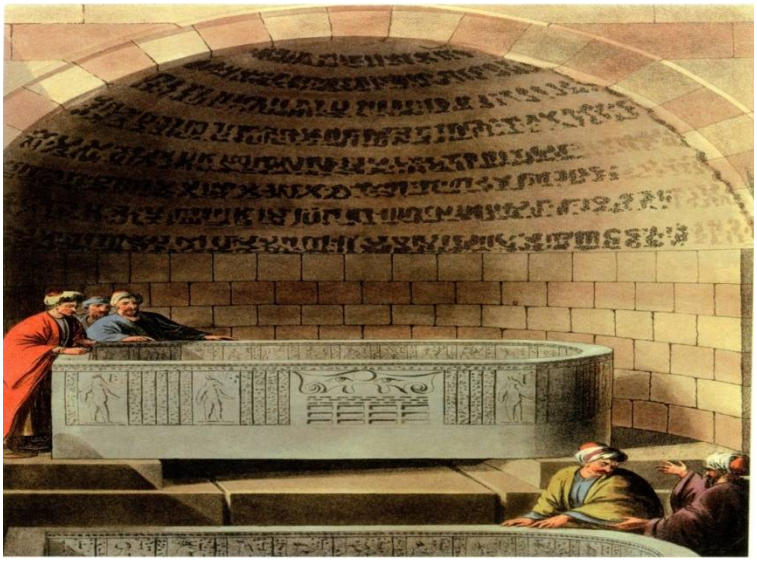

لوحة ٢: التابوت الفرعوني أسفل مسجد الجاولى
نقلاً عن Luigi Mayer, *Egypt in 1800*, pl.9

لوحة ٣: التابوت الفرعوني أسفل مسجد الجاولى، محفوظ حاليًا بالمتحف البريطاني رقم EA23

نقلاً عن الموقع الرسمي للمتحف البريطانيhttp://www.britishmuseum.org

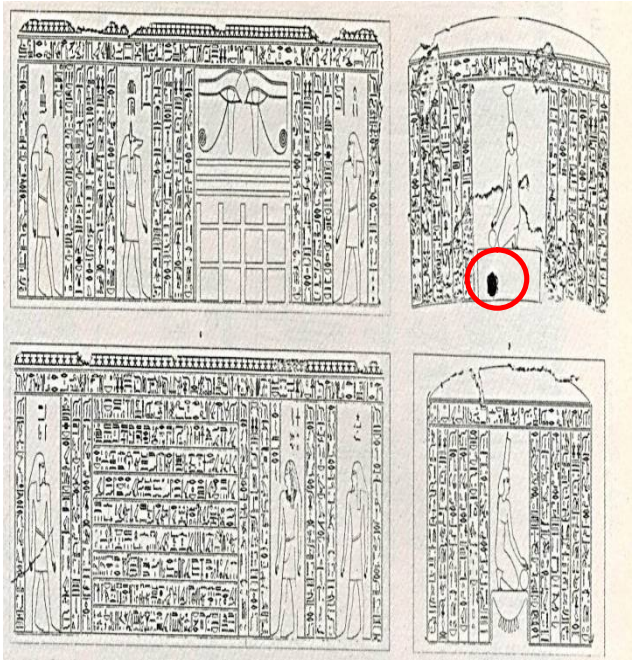

لوحة ٤ : التابوت الذي عُثر عليه بأسفل مسجد الجاولى برسم علماء الحملة الفرنسية والنقوش الهيروغليفية المدونة عليه من جميع جوانبه الأربعة، ويظهر في أعلى يمين اللوحة الثقب الذي تم استخدامه لتصريف المياه التي بداخل التابوت باعتباره كان مستخدمًا للسقاء

لوحة ٥: المسلة الفرعونية المستخدمة كعتب سفلي لمدخل أحد مساجد القلعة في عام ١٨٠٠م
نقلاً عن Luigi Mayer, Egypt in 1800, pl. 29

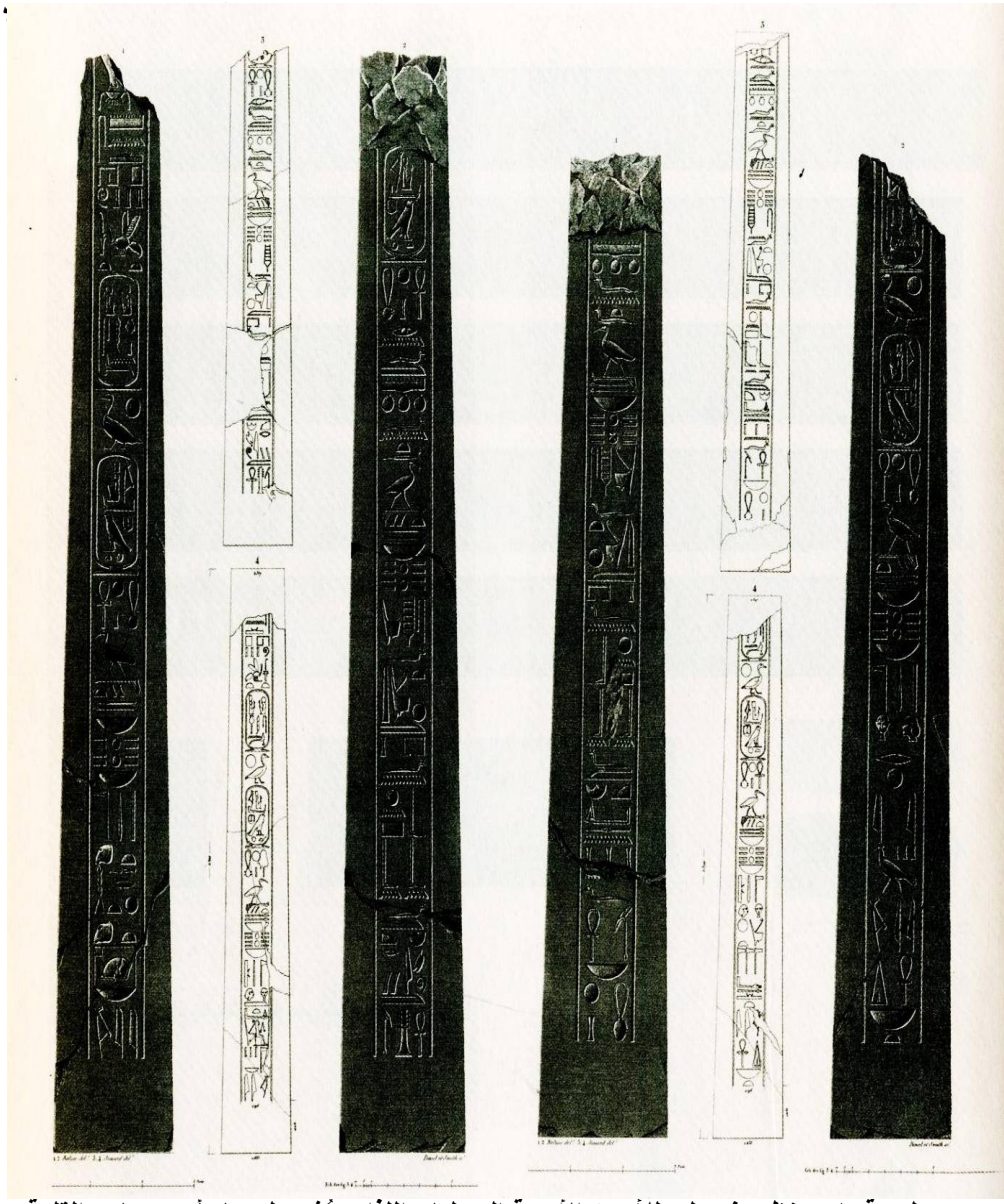

لوحة ٦ : منظر تفصيلي للأوجه الأربعة المسلتان اللذان عُثر عليهما بأحد مساجد القلعة والنقوش الهيروغليفية المدونة عليهما
نقلاً عن وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة، ج ١٣، لوحة ٢١-٢٢

لوحة ٧: مسلتان من الشست الأسود عثر عليهما بأحد مساجد القلعة؛ اليمني استخدمت كعتب أسفل مدخل المسجد، واليسرى استخدمت كعتب لأحد النوافذ لنفس المسجد، والمسلتان بالمتحف البريطاني رقم 523، EA 524
نقلاً عن الموقع الرسمي للمتحف البريطاني http://www.britishmuseum.org